التربية بالعادة في القرآن وأثرها في تربية الصحابة

إعداد

د/ شفاء محمد احمد القاضي

جامعة أم القرى، مكة المكرمة

ملخص البحث

التربية بالعادة احد أساليب التربية الفعالة في القرآن الكريم، والتي تميز بها وسبق علماء الإجتماع المعاصرين الذي توصلوا إلى فاعلية هذا الأسلوب حديثاً تحت ما أطلقوا عليه ديناميات الجماعة، ويهدف هذا البحث إلى إبراز هذا الأسلوب التربوي وتأصليه من خلال تتبع الآيات القرآنية التي ورد فيها، واستخدام القرآن له في تربية الصحابة رضوان الله عليهم، وأثره في تربية خير القرون، وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، حيث يصف الظاهرة محل الدراسة وتحليل النصوص القرآنية. ويتناول البحث مفهوم العادة، وأنواعها، وطرق استخدام التربية بالعادة في استئصال العادات السيئة بأشكالها المختلفة، سواء التي تتصل بالعقيدة، والعادات الاجتماعية والعادات النفسية، كما يتناول طرق القرآن الكريم في استخدام أسلوب التربية بالعادة في خلق العادات الصالحة، وصولاً إلى تكوين العادات، ويبرز البحث أثر التربية بالعادة الذي اتبعه القرآن الكريم في تربية خير القرون، والنقلة النوعية التي أحدثها في حياتهم مابين الجاهلية والإسلام من خلال تتبع تفاعلهم والتغييرات الحاصلة في سيرهم رضوان الله عليهم اجمعين، وكان من نتائج البحث: أهمية التربية بالعادة كأسلوب تربوي كان له عظيم الأثر في استئصال العادات السيئة وتكوين العادات المرغوبة، كما أظهر البحث الاستخدام الأمثل لهذا الأسلوب لتلافي حدوث الآلية في العمل وفقدانه لمغزاه، ويوصي البحث بالاهتمام بهذا الأسلوب في التربية في الأسرة والمدرسة لتنشئة الأجيال المسلمة، وتنويع الطرق المستخدمة لتطبيقه، كما يوصي الباحثين بدراسة أسلوب التربية بالعادة في السنة النبوية، ولدى السلف الصالح من علماء الأمة.

مقدمة

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وزوده بأدوات المعرفة من عقل وسمع وبصر، وكلفه بعمارة الأرض والخلافة فيها، ومن فضل الله على بني البشر أن جعل هذه المهمة فطرة خلقوا عليها، ومن تيسيرات هذه الفطرة التي يعين بها الخالق البشر على أداء مهمتهم أن جعل في كيان الإنسان القدرة على التعود على كل سلوك يمارسه مرات عديدة بانتظام معين، وبمجرد أن يصبح هذا السلوك عادة يتحرك جهده لاكتساب خبرات جديدة، والسلوك الإنساني في جملته هو مجموعة من العادات.

والتربية بالعادة احد اهم وسائل التربية الاسلامية التي اهتم القرآن الكريم بها وظهرت بارزة في تربية الجيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، وهم خير القرون رضي الله عنهم وأرضاهم، "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..." (١).

فبدأ القرآن الكريم بإزالة العقائد الباطلة ورسخ مكانها العقيدة الإسلامية الصحيحة، كما حارب العادات المذمومة، وغرس العادات الصالحة، من عبادات وآداب وأخلاق، وجعل كل ذلك طبعاً يتطبع به المسلم ويصبح جزءاً من حياته لا ينفك عنه، فيمارس كل سلوك اسلامي وكل عبادة وكل أدب وخلق بكل يسر وسهولة، واتبع الرسول الكريم ايضاً هذه الوسيلة في تربية أصحابه، مستخدماً في تحقيق ذلك عدة طرق متمثلة في القدوة والتلقين والتوجيه والمتابعة.

وتأتي هذه الدراسة لتلقي الضوء على التربية بالعادة كأحد اهم وسائل التربية الإسلامية، من خلال تتبع طرق القرآن الكريم في التعامل مع العادات على تنوعها واختلافها، وأثر هذه الوسيلة على تربية خير القرون رضي الله عنهم وأرضاهم، ومحاولة الاستفادة من ذلك في تربية الجيل المسلم في هذا العصر.

---

(١) البخاري، محمد بن اسماعيل، . (د.ت). صحيح البخاري. تحقيق: صدقي العطار. بيروت: دار الفكر، ٨/ ١١٣.

أهمية الدراسة :

– تكتسب هذه الدراسة اهميتها كونها تتشرف بالبحث في آي الذكر الحكيم متتبعة منهج القرآن في التربية بالعادة، ومحاولة دراستها والإفادة منها.

– تأتي اهمية الدراسة من كونها الأولى من نوعها التي خصصت لدراسة هذه الوسيلة من وسائل التربية الإسلامية، حيث لم تقف الباحثة على دراسة واحدة خصصت لدراسة التربية بالعادة، وإنما وردت مجملة عند الحديث عن وسائل التربية الإسلامية، وأحياناً لا يتم ضمها لوسائل التربية الإسلامية.

– تأمل الباحثة أن تفيد هذه الدراسة القائمين على التربية من آباء ومعلمين من خلال لفت أنظارهم إلى اهمية العادة في التربية، وإلى سبل تكوينها وترسيخها، والحيلولة دون تحولها إلى الآلية والسلبية.

اهداف الدراسة :

– تهدف الدراسة إلى إبراز التربية بالعادة كوسيلة معتبرة من وسائل التربية الإسلامية من خلال التعريف بها وبأنواعها، وسبل تكوين العادات المرغوبة، وسبل التخلص من العادات المرذولة.

– تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على منهج القرآن الكريم في التعامل مع العادات الصالحة والسيئة، مع ضرب الأمثلة على ذلك والاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة.

– كما تهدف الدراسة على ابراز أثر التربية بالعادة على الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم.

– وتهدف الدراسة كذلك إلى بيان سبل الاستفادة من التربية بالعادة في تربية النشء المسلم.

مفهوم العادة:

معنى العادة لغة: العادة الديدن، والديدن الدأب والاستمرار على الشيء، قال ابن منظور: " العادة: الديدن يُعاد إليه، معروفة وجمعها: عاد وعادات وعيد، وتعود الشيء وعاده وعاوده معاودة وعواداً واعتاده واستعاده واعاده أي صار له عادة" [١].

وقال الفيومي في المصباح: " والعادة سميت بذلك لأن صاحبها يعاود أي يرجع إليها مرة بعد أخرى، وعودته كذا فأعتاده وتعوده أي صيرت له عادة، واستعدت الرجل: سألته أن يعود، واستعدته الشيء سألته أن يفعله ثانياً" [٢].

معنى العادة في الدلالة الإصطلاحية : اسم لتكرار الفعل والإنفعال، حتى يصير تعاطي ذلك سهلاً كما لو أنه من داخل الطبع [٣].

فالعادة إذن: كل ما واظب الفرد على فعله وتكرر في حياته حتى أصبح طبعاً له لا يستطيع تركه أو تغييره بسهولة، فالعادة تقتضي التكرار والاستمرار كما تقتضي القبول لدى الفرد.

والتربية بالعادة: استخدام ممارسة السلوك بشكل متكرر لتثبيت ما هو مرغوب والتخلص مما هو مذموم مما يراد للمتربي تعلمه من عبادات ومعاملات واخلاق.

أنواع العادات : العادات في سلوك الإنسان إما عادات صالحة محمودة ومرغوبة، أو عادات سيئة مذمومة ومرفوضة، والعادات إما أن تكون عقدية أو نفسية أو اجتماعية .

---

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد. (١٤١٤هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر، ٤٥٩/٩.

(٢) الفيومي، احمد بن محمد. (١٩٨٧م). المصباح المنير. بيروت: مكتبة لبنان، ص٤٢٦.

(٣) الزين، سميح عاطف. (١٤١١هـ). معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ٥١٩/١.

طرق القرآن الكريم في التعامل مع العادات: تعد العادة وسيلة هامة من وسائل التربية، فهي تؤدي مهمة عظيمة في حياة الإنسان حيث توفر عليه الكثير من الوقت والجهد في أداء أعماله اليومية فيؤديها بكل يسر وسهولة دون تكلف ودون الحاجة إلى التدرب عليها مرة بعد مرة، فمتى ما ألفها الإنسان أصبحت جزءاً من طباعه. وقد اهتم القرآن بهذه الوسيلة الهامة للتربية في اعترافه بوجود العادات في حياة البشر، ومن ثم تعامله مع العادات بأنواعها المختلفة، فأزال العادات المذمومة، وغرس العادات المحمودة، وقد اتبع القرآن في سبيل تحقيق ذلك منهجاً فريداً، تعامل فيه مع العادات بحسب أنواعها وتمكنها من النفس وما يتطلبه تغييرها من تنوع في الطرق أيضاً، كالتالي:

أ) طرق القرآن في إزالة العادات السيئة :

يمكن تقسيم العادات السيئة أو المذمومة إلى أنواع ثلاثة كالتالي:

١- عادات تتصل بأصل التصور والعقيدة، مثل: الشرك بالله بكل عاداته وتصوراته.

٢- عادات اجتماعية واقتصادية، مثل: شرب الخمر، الربا.

٣- عادات نفسية، مثل: الغيبة والنميمة والهمز واللمز.

وقد اتبع القرآن للتخلص من العادات السيئة وإزالتها إحدى طريقتين حسب نوع العادة كالتالي:

١- القطع الحاسم الفاصل: اتبع القرآن الكريم هذه الطريقة في التعامل مع كل عادة تتصل بأصل التصور والعقيدة كالشرك بالله، ومع العادات النفسية كالغيبة والنميمة، فالعادات التي تندرج تحت هذين النوعين لا يمكن مهادنتها أو تأجيلها فقطعها القرآن قطعاً حاسماً دون تردد أو تريث.

٢- التدرج البطيء: اتبع القرآن التدرج البطيء على مراحل مع العادات التي ترتبط بأحوال اجتماعية واقتصادية بحيث يصعب على النفس التخلص منها دفعة واحدة، كالزنا وشرب الخمر، والربا [١].

ب) طرق القرآن الكريم في غرس العادات الصالحة : فأما غرس الإيمان بعد الكفر فاستخدم له الهزة الوجدانية المحيية الموحية التي تنقل النفس من تصور إلى تصور، فيحولها إلى عادة مشتبكة بزمان ومكان واشخاص يلتقي معهم على احاديث وأفعال الإيمان، أما غرس العبادات والقيم والأخلاق فيلجأ في ذلك إلى إثارة الوجدان وإنشاء الرغبة في العمل، ثم يحول الرغبة إلى عمل واقعي ذي صورة محددة واضحة السمات، ثم يحول الرغبة والعمل من مسألة فردية إلى رباط اجتماعي[٢].

أ) أمثلة لطرق تعامل القرآن الكريم مع العادات السيئة :

١- الشرك بالله (القطع الحاسم الفاصل):

تعريف الشرك: لغة: الشرك، بالتخفيف أي بإسكان الراء، أغلب في الاستعمال، يكون مصدرا واسما، تقول: شاركته في الأمر وشركته فيه أشركه شركاً، بكسر الأول وسكون الثاني، ويأتي: شركة، بفتح الأول وكسر الثاني فيها. ويقال: أشركته: أي جعلته شريكاً[٣].

الشرك اصطلاحاً: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية[٤].

---

(١) قطب، محمد. (١٤١٤هـ). منهج التربية الإسلامية. القاهرة: دار الشروق، ص ٢٠١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٣.

(٣) الفيومي، احمد بن محمد. (١٩٨٧م). المصباح المنير. بيروت: مكتبة لبنان، ٤٧٤/١.

(٤) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (١٤٢٢). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. الرياض: مكتبة العبيكان، ص٤٩٩.

عندما بعث الله سبحانه وتعالى نبينا ورسولنا محمد ﷺ بالرسالة كانت العرب تعتنق الوثنية، فقد انتشرت فيهم عبادة الأصنام والنجوم والأفلاك، والجن، والملائكة وزعموا انها بنات الله، وتقربوا إلى أوثانهم بالدعاء والذبح والنذر وطلب الشفاعة من دون الله، وزعموا أنها تقربهم إلى الله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٠). إن مهمة التربية هي اصلاح النفس الإنسانية وتزكيتها، ومناط هذا الصلاح العقيدة الصحيحة، فإذا كان معتقدها سليماً استقامت النفس وصلحت، واستجابت للتربية في جوانبها الأخرى، أما إذا فسدت عقيدتها فلا طائل من جهود التربية ولا مجال لإصلاح سلوكها واخلاقها[1] .

لذا بدأ القرآن تربية النفوس بتخليصها من أدران الشرك وتصوراته الباطلة وتعريفها بالمعبود الحق، الذي يقرون له بتوحيد الربوبية فهم يعلمون أنه الخالق الرازق المدبر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الزمر: ٦٧).

وللقضاء على تلك العادات والتصورات العقدية الفاسدة، لجأ القرآن الكريم إلى طريقة القطع الحاسم والإزالة الكاملة واجتثات بذور الكفر والشرك من جذورها، وتخلية

---

(١) بنجر، أماني عبد العزيز. (١٤٢٩). التربية النبوية العقدية في العهد المكي وتطبيقاتها التربوية. ص١٩٦.

النفوس منها، ليتمكن بعد ذلك من غرس بذرة الإيمان في أرض صالحة طاهرة ونقية لا تشوبها شوائب الشرك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (إبراهيم: ٢٦)، الكلمة الخبيثة تعني: الشرك بالله، اجتثت أي: استؤصلت فلا أصل لها في الأرض تثبت عليه وتقوم، ضرب الله هذا مثلاً في الشرك بالله أنه لا يقوم له اصل يأخذ به الكافر ولا برهان، ولا يرتفع معه عمل إلى الله تعالى، فليس لكفر الكافر وعمله الذي هو معصية الله ثبات في الأرض، ولا له في السماء مصعد، فلا يصعد إلى الله منه شيء[1].

فعادات الشرك عقيدة لا تقبل المداهنة ولا التهاون معها أو التريث في أمرها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (الكافرون: ١ – ٦).

فانكر سبحانه عليهم تعدد الآلهة التي يعبدونها من دون الله، واثبت تفرده بالألوهية واستحقاقه لها، مستدلاً بفساد السماوات والأرض في وجود آلهة متعددة، أما صلاحها واستقامة أمور الناس فيها فدليل قاطع بوجود إله واحد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأنبياء: ٢١ – ٢٢).

يقول الإمام الطبري:" لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهة التي لا تصلح الا له، لفسد اهل

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. (١٤١٥). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٤٥١/٤.

السماوات والأرض، فسبحان الله: تنزيه لله وتبرئةً له مما يفتري به عليه هؤلاء المشركون من الكذب "[1].

وبعد أن نفى الألوهية عن غير الله ونفى تعدد الآلهة، بدأ القرآن الكريم في تصحيح عقيدتهم، وبنى التصور الصحيح الذي تقوم عليه فيما بعد التكاليف الشرعية والعبادات، وذلك من جوانب عدة منها مايلي[2]:

- أن الله هو الواحد الأحد خالق السماوات والأرض، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ (الأنعام: ١٠١).

- أن علمه محيط بكل شيء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ (الطلاق: ١٢)، وأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء يعلم السر والعلانية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الأنعام: ٣).

- أنه المستحق وحده للعبادة دون سواه فحقه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الزمر: ١١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ (الإسراء: ٢٣).

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. (١٤١٥). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٤٦/٥ .

(٢) بنجر، أماني عبد العزيز. (١٤٢٩). التربية النبوية العقدية في العهد المكي وتطبيقاتها التربوية، ص٢٠٢-٢٠٧.

- وصحح عقيدتهم في الجن والملائكة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(الصافات: ١٥٨- ١٥٩).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَٰتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الصافات: ١٤٩ - ١٥٥).

فكيف صنعت العقيدة الصحيحة في قلوب المؤمنين من الصحابة لما آمنوا بوحدانية الله وتفرده بالعبادة بعد أن تخلصت قلوبهم من أدران الشرك بعاداته وتصوراته الفاسدة؟ وكيف أثرت في سلوكهم العملي؟ هذا ما يصوره الشيخ محمد قطب بأسلوبه المميز فيقول: لقد كان الواحد منهم قبل ايمانه فرداً من افراد المجتمع الجاهلي يفكر بتفكيره، ويتصرف بمفاهيمه وعاداته وسلوكه، يؤمن بعدة أرباب تتنازع نفسه وحسه وسلوكه، ربوبية الأصنام والقبيلة والعرف وموروث الآباء والأجداد وربوبية الشهوات، فلما آمن ازاح عن قلبه ربوبية كل الأرباب حينما عرف الإله الحق، صاحب الوجود الحقيقي بين كل هذه الأرباب، فانزاحت عن نفسه كل تلك الآلهة، وامتلأت روحه بعبادة واحدة مشرقة هي عبادة الله وحده، كما تتغير محاور الثقل داخل النفس، فيصبح الثقل الأكبر للعقيدة الصحيحة للإيمان بالله وحده، فلم تعد للعقائد الباطلة أي سيطرة على وجدانه، وتتغير نظرته للكون فبعد أن كان في حسه قريب من الفوضى لا ضابط له يستطيع الإنسان أن ينفلت كما يشاء، اصبح الكون بعد الإيمان بالله محكم التدبير لا يتم فيه شيء إلا بقدر الله وتدبيره ومشيئته، كل شيء محسوب بدقة معجزة، الليل والنهار، والشمس والقمر، والموت والحياة، ولا شيء يمضي بلا رجعة، بل كل شيء

احصاه الله في كتابه ثم يحاسب كلُ بعمله يوم القيامة، وحينما تتغير الصورة حين تتغير العقيدة يتغير السلوك تبعاً لها، لقد كان في حسه آلهة يؤمن بوجودها ويتوجه إليها بألوان العبادة، واليوم انجابت عن نفسه كل تلك الآلهة، ولم يعد في قلبه إلا الله، فقد خلا حسه تماماً من أي شريك لله، وبالتالي فلا توجه إلا توجه واحد لله وحده الذي يحبه ويخشاه، ويرتبط في قلبه حب الله بحب رسوله الكريم ﷺ ، الذي جاء بالدين الحق، والذي يأتيه الوحي من السماء، فيمتزج في نفسه حب الله وحب رسوله ويصبحان في مشاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلها، ومحور الحركة الشعورية والسلوكية، بل مفتاح التربية الإسلامية ومنطلقها، وكل شيء بعدها في التربية سهل(١).

لقد كانت العقيدة الصحيحة نقطة تحول حقيقية في حياة الصحابة رضي الله عنهم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قوياً غليظاً شجاعاً ذو قوة فائقة وكان قبل إسلامه أشد عداوة لدين الله وكان من أشد الناس عداوة لرسول الله عليه السلام ولم يرق قلبه للإسلام أبداً ، وفى يوم من الأيام قرر عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل نبينا محمد عليه السلام فسن سيفه وذهب لقتل محمد عليه السلام وفى الطريق وجد رجلاً من صحابة رسول الله عليه السلام وكان خافياً لإسلامه فقال له الصحابي: إلى أين يا عمر ؟ قال عمر رضي الله عنه ذاهب لأقتل محمداً، فقال له الصحابي: وهل تتركك بنى عبد المطلب ؟ قال عمر رضي الله عنه للصحابي الجليل: أراك اتبعت محمداً ؟ قال الصحابي: لا و لكن أعلم يا عمر قبل أن تذهب إلى محمد لتقتله فأبدأ بآل بيتك أولاً، فقال عمر رضي الله عنه:من ؟قال له الصحابي: أختك فاطمة وزوجها اتبعتوا محمداً، فقال عمر رضي الله عنه: أو قد فعلت ؟ فقال الصحابى : نعم ، فأنطلق سيدنا عمر رضي الله عنه مسرعاً غاضباً إلى دار سعيد بن

(١) قطب، محمد. (١٤١٤). منهج التربية الإسلامية. القاهرة: دار الشروق، ص ٢٦٧-٢٧١، باختصار.

زيد ﷺ زوج أخته فاطمة، فطرق الباب وكان خباب بن الأرت ﷺ يعلم اخته فاطمة وسعيد بن زيد القرآن، فعندما طرق عمر ﷺ الباب فتح سعيد بن زيد الباب فأمسكه عمر ﷺ وقال له : أراك صبأت ؟ فقال سعيد ﷺ : يا عمر أرأيت إن كان الحق فى غير دينك ؟ فضربه عمر ﷺ وأمسك أخته فقال لها: أراك صبأتى ؟ فقالت يا عمر: أرأيت إن كان الحق فى غير دينك؟ فضربها ضربة شقت وجهها، فسقطت من يدها صحيفة القرآن، فقال لها ﷺ ناوليني هذه الصحيفة فقالت له فاطمة رضى الله عنها : أنت مشرك نجس اذهب فتوضأ ثم اقرأها ، فتوضأ عمر ﷺ ثم قرأ الصحيفة وكان فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ (طه: ١ – ٤).

فأهتز عمر ﷺ وقال ما هذا بكلام بشر ثم قال ﷺ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال ﷺ دلونى على محمد، فقام له خباب بن الأرت و قال أنا ادلك عليه فذهب به إلى دار الأرقم بن أبى الأرقم فطرق الباب عمر بن الخطاب ﷺ فقال الصحابة : من ؟ قال : عمر، فخاف الصحابة واختبؤا فقام حمزة بن عبد المطلب ﷺ وقال: يا رسول الله دعه لي ، فقال الرسول ﷺ أتركه يا حمزة، فدخل عمر ﷺ فأمسك به رسول الله ﷺ وقال له : أما آن الأوان يا ابن الخطاب ؟ فقال عمر ﷺ : إنى أشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله ، فكبر الصحابة تكبيراً عظيماً سمعتة مكة كلها، فكان إسلام عمر نصر للمسلمين وعزة للإسلام وقد كان رسول الله ﷺ يدعوا له دائما و يقول "اللهم أعز الإسلام بأحد العُمرين " و هما (عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام) ، و من هنا بادر سيدنا عمر بن الخطاب بشجاعته وقام وقال لرسول الله ﷺ يا رسول الله : ألسنا على الحق ؟ قال الرسول ﷺ نعم. قال عمر ﷺ أليسوا على الباطل ؟ قال رسول الله ﷺ: نعم. فقال عمر بن الخطاب:

ففيما الإختفاء ؟ قال رسول اللهﷺ: فما ترى يا عمر ؟ قال عمر: نخرج فنطوف بالكعبة ، فقال له رسول الله ﷺ : نعم يا عمر، فخرج المسلمون لأول مرة يكبروا و يهللوا فى صفين، صف على رأسه عمر بن الخطابﷺ وصف على رأسه حمزة بن عبد المطلب ﷺ وبينهما رسول اللهﷺ يقولون: الله أكبر ولله الحمد حتى طافوا بالكعبة فخافت قريش ودخلت بيوتها خوفاً من إسلام عمرﷺ ومن الرسول ﷺوصحابته ﷺ ، ومن هنا بدأ نشر الإسلام علناً ثم هاجر جميع المسلمون خفيةً إلا عمر بن الخطابﷺ هاجر جهراً امام قريش وقال: من يريد أن يُتم ولده فليأتي خلف هذا الوادي، فجلست قريش خوفاً من عمر ﷺ(١).

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: كَانَ إِسْلامُ عُمَرَ فَتْحًا، وَكَانَتْ هِجْرَتُهُ نَصْرًا، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ رَحْمَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُصَلِّيَ فِي الْبَيْتِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَاتَلَهُمْ حَتَّى تركونا فصلينا (٢).

لقد تحول عمر ابن الخطاب بعد ايمانه من الغلظة والشدة في الباطل، إلى البأس والشجاعة والقوة في نصرة الحق، ونصرة الدين وأهله، حقاً لقد تغيرت محاور الثقل في نفسه فأصبح الثقل الأكبر للعقيدة الصحيحة، ولما تغيرت العقيدة تغير السلوك تبعاً لها مباشرة دون تردد.

وأما خالد بن الوليد ﷺ فقد كان في الجاهلية قائداً شجاعاً لجيوش قريش عادى المسلمين وقاد جيوش المشركين لقتالهم، وكان لحذاقته الفضل في نصر قريش في احد

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٦/٩) ، فيه اسامة بن زيد بن أسلم وهو ضغيف، ورواه البزار في مسنده (٤٠٠/١) وقال: لا نعلم يروى في قصة إسلام عمر إسناداً احسن من هذا الإسناد فيه اسحاق الحنيني كف واضطرب حديثه.

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥/٩) عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وقال: رجاله رجال الصحيح، إلا أن القاسم لم يدرك جده ابن مسعود.

وهزيمة المسلمين، لقد كرس نفسه وشحذ خبرته الحربية لقتال المسلمين في عدة مواطن، فلما أراد الله به خيراً ودخل الإيمان إلى قلبه أصبح سيفاً مسلولاً لقتال أعداء هذا الدين، لقد حولته العقيدة الصحيحة وتربية القرآن الكريم من عدو لله ورسوله والمسلمين، إلى احد أهم القادة في التاريخ الإسلامي.

وهذا عمرو بن العاص ﷺ كان من أشد الناس بغضاً لرسول الله ﷺ ، أسلم فأصبح من كبار الصحابة وأكثرهم حباً وإجلالاً له، يروى أنه لما حضرته الوفاة بكى طويلا وحوله وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ قال فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إني قد كنت على أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني ، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار . فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه . قال فقبضت يدي، قال " مالك يا عمرو ؟ " قال قلت: أردت أن أشترط . قال :" تشترط بماذا؟ " قلت: أن يُغفر لي . قال: " أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟ "وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه. وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له . ولو سئلت أن أصفه ما أطقت . لأني لم أكن أملأ عيني منه . ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة. ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها . فإذا أنا مت ، فلا تصبحني نائحة ولا نار . فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا . ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور . ويقسم لحمها . حتى أستأنس بكم . وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي[1].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، ص ١٢١.

٢- عادة شرب الخمر (التدرج البطيء):

تعريف الخمر: "كل شراب خمر العقل فستره وغطى عليه. وهو من قول القائل: خمرت الإناء إذا غطيته ، وخمر الرجل: إذا دخل في الخمر. ويقال : هو في خمار الناس وغمارهم، يراد به دخل في عرض الناس. ويقال للضبع : "خامري أم عامر" : أي استتري. وما خامر العقل من داء وسكر فخالطه وغمره فهو " خمر[١].

كانت الخمر عادة اجتماعية متجذرة في نفوس الناس، يجتمعون حولها في نواديهم، يتسامرون وينظمون فيها أشعارهم، بل كانت عنصراً أساسياً من عناصر الحياة قبل الإسلام، وعادةٌ هذه حالها يصعب خلع الناس عنها إلا بتأنٍ وتدرج، لذا تأخر علاج القرآن لهذه العادة ولم ينزل حكم حولها إلا في العهد المدني، بعد أن تأصلت العقيدة في نفوس المسلمين، وتم تنقية القلوب من أدران الشرك، مما يمهد أرضاً صالحة لتقبل الأحكام الشرعية ومنها محاربة عادة شرب الخمر، تقول ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذلك: " انما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر ابداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنى ابداً"[٢]. قال ابن حجر رحمه الله: " أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك نزلت الأحكام، وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. (١٤١٥). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٥٨٧/١ .

(٢) البخاري، محمد بن اسماعيل. (د.ت). صحيح البخاري. تحقيق: صدقي العطار. بيروت: دار الفكر، ١٩١٠/٤.

عن ترك المألوف"[1]. وقد تدرج القرآن تدرجاً حكيماً في تحريم شرب الخمر وذلك على مراحل أربع كالتالي[2]:

الأولى: مرحلة الذم: حيث تعرض إليه بإشارة عابرة خفيفة تفيد أن الخمر ليست بالرزق الحسن عند حديثه عن جوانب الرزق الحلال، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(النحل: ٦٧).

الثانية: مرحلة التنفير: فقد كثر سؤال المسلمين عن الخمر والميسر لما كانوا يرون من شرورهما ومفاسدهما، فأنزل تبارك وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ (البقرة: ٢١٩)، فرجح في هذه الآية إثم الخمر على نفعها، منفراً منها دون ايراد حكم قاطع بتحريمها.

الثالثة: مرحلة التحريم الجزئي: حيث نزل تحريم شرب الخمر عند الصلاة، حيث انزل تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٣)، وقد كان لهذه المرحلة أثر هام ساعد على التمهيد للتحريم النهائي بشكل كبير، ففي تحريم الصلاة حال السكر فيه تخفيف من عادة الشرب إلى اقصى حد ممكن، فلا يسع المرء تناولها إلا مابين الفجر والظهر أو ما بعد صلاة العشاء، فلا يشربها إلا مرة أو مرتين صباحاً أو ليلاً فقط، وقد يتركها طيلة اليوم خوفاً من إفساد صلاته، مما خفف من حدة التعود عليها شيئاً فشيئاً، وامكن تالياً التغلب عليها نهائياً.

---

(١) ابن حجر، احمد بن علي. (١٤٠٧). فتح الباري بشرح صحيح البخاري.القاهرة: دار الريان.٩/٤٠.

(٢) المنصوري، عبد الله والقاضي، عبد الحق.(٢٠١٢). التدرج في التشريع. *مجلة كليات التربية، جامعة عدن* ص ٢٩٨-٢٩٩.

الرابعة: مرحلة التحريم الكلي: في هذه المرحلة تم تحريم شرب الخمر تحريماً قاطعاً، ومساواتها بحرمة عبادة الأصنام والأمر الصريح باجتنابها والانتهاء عن معاقرتها، حيث أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠ – ٩١).

قال القفال رحمه الله : " والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أن الله تعالى علم أن القوم كانوا قد ألفوا شرب الخمر، وكان انتفاعهم بذلك كثيراً، فعلم أنه لو منعهم دفعةً واحدة لشق ذلك عليهم، فلا جرم استعمل من التحريم هذا التدريج وهذا الرفق" (١).

روي أن عمر بن الخطاب ﷺ ذكر للنبي ﷺ عيوب الخمر، وما ينزل بالناس من أجلها، ودعا الله في تحريمها، فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ ، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ فكان منادي رسول الله إذا قال: حي على الصلاة نادى: لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا

(١) الرازي، محمد فخر الدين. (١٤٠١). تفسير الفخر الرازي. بيروت: دار الفكر، ٣٥/٦.

﴿ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ دعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قال عمر: انتهينا انتهينا [1].

لقد كان تلقي الصحابة لأوامر الله بالطاعة الفورية دون تلبث أو تردد أو تفكير، فهاهو الفاروق ﷺ بمجرد سماع الأمر بتحريم الخمر يقول انتهينا انتهينا فيقلع هو وغيره من الصحابة من فورهم اقلاع نهائي عن هذه العادة الذميمة.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر، في بيت أبي طلحة وما شرابهم إلا الفضيح البسر والتمر، فإذا منادٍ ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فقال لي أبو طلحة اخرج فأهرقها فأهرقتها فجرت في سكك المدينة، فقال بعضُ القومِ : قد قُتِلَ قومٌ وهيَ في بطونهم، فأنزل اللهُ ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ٩٣)[2]. وفي رواية: ومعي أبو طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء، فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى اهرقنا الشراب وكسرنا القلال وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا[3].

فهؤلاء جمع من كبار الصحابة ﷺ ما ترددوا لحظة في تلقي أمر الله، بل استجابوا وسكبوا الخمر وكسروا أوعيتها بل تحرزوا منها بالوضوء والاغتسال مبالغة في التطهر من كل أثر لها، ولقد كان موقف الصحابة ﷺ، واستجابتهم الفورية للتحريم نتيجة طبيعية للمنهج الفريد الذي اتبعه القرآن الكريم في معالجته لهذه العادة الذميمة التي

---

(١) رواه ابو داود في سننه ٣٢٥/٣ وسكت عنه " وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ماسكت عنه فهو صالح" ورواه الترمذي في سننه مرسلاً ٢٥٣/٥ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ٢٣٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ص ٢٤٦٤.

(٣) رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٤٢٢/٤.

سيطرت عليهم زمناً طويلاً، بالتدرج بهم مرة بعد مرة حيث ربى في نفوسهم نفوراً منها، ثم قناعة بضررها وإفسادها لصلواتهم، فتلقوا أمر التحريم بالقبول والترحيب، كما أنه كذلك نتيجة طبيعية لمعالجة القرآن الكريم للعادات العقدية باقتلاعها من جذورها وتنقية القلوب لتصبح صالحة لاستقبال الأوامر الربانية والاستجابة لها دون تردد.

ب) أمثلة لطرق القرآن الكريم في غرس العادات الصالحة:

لقد لجأ القرآن الكريم في غرس العادات الصالحة من تكاليف شرعية واخلاق، عبادات ومعاملات إلى عدة خطوات، ذلك أن الطبائع لا تقبل التكاليف جملة واحدة، كما لا تتخلى عن مألوفها دفعة واحدة، وإنما يروض الناس على قبول التكاليف ترويضاً، ويفطموا عن عاداتهم شيئاً فشيئاً، حتى يتخلوا عنها ويقلعوا [1].

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: مبدأ كل علم نظري، وعمل اختياري، هو الخواطر والأفكار، فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة، فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار[2].

يشير ابن القيم إلى التدرج في تكوين العادة، وأنه يبدأ بالفكرة فالتصور فالإرادة فالعمل وتكرار العمل يؤدي إلى حدوث العادة، وقد اتبع القرآن منهج التدرج في تكوين العادات الصالحة من عبادات واخلاق ومعاملات، فلم تنزل التكاليف الشرعية جملة واحدة بل تدرج القرآن الكريم فيها حتى تتقبلها النفوس وتعتاد القيام بها في يسر وسهولة.

---

(١) عبد الرحمن، عبد الله الزبير. (١٤١٧). من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص ١١٩.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (١٤٠٨). الفوائد. بيروت: دار الكتب العلمية، ص ١٩٣.

١- العبادات (الصلاة) :

لقد جعل الله فطرة الإنسان متفقة مع منهج الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠)، فالإنسان مفطور على أن يتوجه إلى معبود، مفطور على محبة العدل والرحمة والحرية والطهارة وحب الجماعة، وغير ذلك من أمور الخير التي فطر الله البشر عليها، لذا كانت أولى خطوات غرس الفضائل هي إثارة مكامن الفطرة، ومخاطبة الوجدان البشري بما يميل إليه من حب الفضيلة ونبذ الرذيلة والحاجة إلى معبود، تحتاج النفس إلى الانقياد إليه، وتوجيه ألوان من العبادة تقرباً منه.

وقد كانت أولى العبادات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على عباده هي الصلاة، فالصلاة رغبة في الاتصال بالله والدعاء إليه وطلب المعونة منه، وهي صلة بين العبد وربه، فيثير القرآن هذه الرغبة، الرغبة في دعاء الله دون واسطة، الرغبة في التقرب من المعبود الحق، يثيرها بأن يبين أن الصلاة هي الملبية لهذه الرغبة وأنها دين جميع المرسلين والأمم السابقة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (البقرة: ٨٣)، وأنها من صفات المتقين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ

يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة: ١ – ٣). فلما تطلعوا إليها بدأ افتراضها عليهم، وقد تدرج القرآن الكريم في ذلك، فلم يكتمل تشريع الصلاة إلا بمراحل ثلاث[١]:

الأولى: وكانت الصلاة فيها ركعتين في الغداة وركعتين في العشي، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ (الكهف: ٢٨). وبهما أمر نبيه ﷺ ومن معه من المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ (غافر: ٥٥).

الثانية: وهي مرحلة فرض الصلاة ثلاث مرات في اليوم الفجر والعصر وقيام الليل، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ (هود:١١٤). " وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان: صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها ، وفي أثناء الليل قيام عليه وعلى الأمة ثم نسخ في حق الأمة وثبت وجوبه عليه ثم نسخ عنه أيضاً في قول والله أعلم" [٢].

الثالثة: وهي المرحلة التي اكتمل فيها التشريع وتم ايجاب الصلوات الخمس، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء: ٧٨). وكما تدرج في عدد الصلوات وأوقاتها

---

(١) عبد الرحمن، عبد الله الزبير. (١٤١٧). من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) ابن كثير، اسماعيل بن عمر. (١٤١٩). تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الكتب العلمية، ٣٠٤/٤.

فقد تدرج في عدد ركعاتها، فكانت الصلاة أول الأمر ركعتين ثم اتمت بركعاتها الكاملة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: " فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين، ثم اتمها في الحضر، فأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى"(١).

وهذه نماذج من خشوع الصحابة في الصلاة ومدى تمكنها من قلوبهم ومحبتهم لها، عن عروة بن عبدالله بن الزبير أنَّ المِسْوَرَ بنَ مَخْرَمَةَ دخلَ على عمرَ بنِ الخطابِ من الليلةِ التي طُعِنَ فيها فأَيْقَظَ عمرَ لصلاةِ الصبحِ فقال عمرُ: نعم ولا حَظَّ في الإسلامِ لمن تركَ الصلاةَ ، فصلَّى عمرُ وجُرْحُهُ يَثْعَبُ دمًا(٢).

وخشوع سعد بن معاذ – ﷺ – في صلاته، فقد ذُكِرَ أنه قال: فيَّ ثلاث خصال لو كنت في سائر أحوالي أكون فيهن كنت أنا أنا: إذا كنت في الصلاة لا أُحَدِّثُ نفسي بغير ما أنا فيه، وإذا سمعت من رسول الله –ﷺ– حديثاً لا يقع في قلبي ريب أنه الحق، وإذا كنت في جنازة لم أُحدِّث نفسي بغير ما تقول ويُقال لها(٣).

وأما عثمان ابن عفان ﷺ في خشوعه وتبتله وقيامه الليل من طراز فريد يعبر عنه عبد الله بن عمر ﷺ فيقول في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾(الزمر: ٩)، قال: هو عثمان ابن عفان(٤).

---

(١) ابن حجر، احمد بن علي(١٤٠٧). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. القاهرة: دار الريان.٢/ ٥٦٩.

(٢) رواه الألباني في إرواء الغليل ٢٢٥/١، وقال: اسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم. (١٤١٦). مجموع الفتاوى. ٦٠٥/٢٢.

(٤) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج. (١٤٣٣). صفة الصفوة. تحقيق: خالد طرطوسي. بيروت: دار الكتاب العربي.ص١١٥

وعن محمد بن زيد: أن أباه أخبره أن عبد الله بن عمر ﷺ كان له مهراس فيه ماء فيصلي ما قدر له ثم يصير إلى الفراش فيغفي إغفاء الطير، ثم يثب فيتوضأ ثم يصلي، يفعل ذلك في الليلة أربع مرار أو خمس مرار [1].

وعن القاسم قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة بنت الصديق – رضي الله عنها- أسلم عليها ، فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ (الطور: ٢٧) وتدعو وتبكي وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت، فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي [2].

تلافي حدوث الآلية في العمل:

ثم بعد أن فرضت الصلوات الخمس وحددت أوقاتها، رغب القرآن الكريم المسلمون في الاجتماع لأداء الصلوات المفروضة جماعة في المسجد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (النور: ٣٦ – ٣٧) ، وخص من ذلك صلاة الجمعة وأمر المؤمنون بالمبادرة إليها وعدم الإنشغال عنها بأمور الدنيا من تجارة وبيع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الجمعة: ٩).

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص٢٩٣.

والقرآن بعد أن غرس العادات الصالحة- الصلاة هنا كمثال- في نفوس المسلمين وتحويلها إلى سلوك ومنهج حياة، يتبع طريقة فريدة تحول دون أن تصبح العادة جامدة آلية مفرغة من أهدافها وتأثيرها في حياة الإنسان، فيعمد إلى تحويلها من عمل فردي إلى سلوك جماعي، بحيث يمارسها المسلم مع أفراد مجتمعه في أوقات دورية منتظمة فيساعده ذلك على شحذ همته واستمراره عليها، فتحويل العادة إلى عمل جماعي يضمن لها الدوام والاستمرار والحيوية، وينشىء في الوقت نفسه مجتمعاً تعيش فيه وبذلك تصبح العادة عملاً فردياً وارتباطاً جماعياً فى آن واحد،كما ينشىء منها نظاماً اجتماعياً قوي الأسس متين البنيان، تطبق فيه شعائر الدين إلى جانب الفضائل والقيم الإسلامية [1].

٢- القيم والأخلاق (العدل):

معنى العدل لغة: العدل خلاف الجور، وهو القصد في الأمور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، من عَدَلَ يَعْدِلُ فهو عادل من عُدولٍ وعَدْلٍ، يقال: عَدَلَ عليه في القضية فهو عادِلٌ. وبسط الوالي عَدْلَهُ[2].

العدل اصطلاحاً: هو استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير، والعدل: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا[3].

---

(١) قطب، محمد. (١٤١٤). منهج التربية الإسلامية. القاهرة: دار الشروق. ص٢٠٣.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، ٤٣٠/١١ و المصباح المنير للفيومي، ٣٩٦/٢.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد. (د.ت). معجم التعريفات. تحقيق: محمد صديق المنشاوي. القاهرة: دار الفضيلة ص١٤٧.

والعدل ركيزة عظيمة من ركائز هذا الدين، بل هو كلمة الله تعالى التي قامت عليها السموات والأرض، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(الأنعام: ١١٥).

وأمر جل وعلا بإقامته ونشره بين الناس، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠)، وبالعدل أمر نبيه عليه السلام ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ (الشورى:١٥)

ولقد أقام النبي ﷺ العدل، ورغَّب فيه، وقد وردت الأحاديث الكثيرة تدلُّ على تطبيقه قواعد العدل، وإرسائه لمعالمه منها : ماروي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكارهنا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالعدل أين كنَّا، لا نخاف في الله لومة لائم[1].

وقد قال ابن تيمية رحمه الله: العدل نظام كلِّ شيء، فإذا أُقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة[2].

ولقد ربى القرآن الكريم المؤمنون من الرعيل الأول على هذه القيمة العظيمة، ورسخها في نفوسهم حتى أصبحت طبعاً من طباعهم، وعادة لا ينفكون عنها، وقد

---

(١) رواه احمد ابن حنبل في مسنده ٤٤١/٣ ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ص٤١٦٤ .

(٢) ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم. (١٤١٦). مجموع الفتاوى، ١٤٦/٢٨.

اتبع في غرسها في نفوسهم عدة طرق، تارة بالترغيب فيه، وتارة بالتنفير والتحذير من ضده وهو الظلم، فمن الآيات التي ترغب في العدل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٣٥)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨١). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨).

ومن الآيات التي تذم الظلم والظالمين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (الحج: ٧١)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (هود: ١٨)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ (المائدة: ٥١).

ومن صور عدل الصحابة ﷺ ما روي عن أنس أن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم قال: عذت معاذًا. قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن

الأكرمين. قال أنس: فضرب، فوالله لقد ضربه، ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع السوط على صلعة عمرو. فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه. فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني [1].

وكان عمر ﷺ يأمر عماله أن يوافوه بالمواسم، فإذا اجتمعوا قال: أيها الناس إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم، ولا من أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فُعل به غير ذلك فليقم، فما قام أحد إلا رجل واحد قام فقال: يا أمير المؤمنين إن عاملك ضربني مائة سوط. قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه. فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك. فقال: أنا لا أقيد، وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه قال: فدعنا فلنرضه، قال: دونكم فأرضوه. فاقتدى منه بمائتي دينار كل سوط بدينارين[2].

ومما يؤكد على نفور الصحابة من الظلم وتجنبه وتخلقهم بخلق العدل، أنه بعد أن أصبح أبو بكر خليفة، قال مرَّة لعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما: "إنه لابدَّ لي من أعوان"، فقال عمر: "أنا أكفيك القضاء"، وقال أبي عبيدة: "أنا أكفيك بيت المال". وظلَّ عمر في سدة القضاء بالمدينة مدة سنة كاملة، لم يختصم إليه أحد خلالها [3].

---

(١) الهندي، علاء الدين المتقي. (١٤٠٥). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٢/٦٦٠.

(٢) المرجع السابق، ١٢/ ٦٥٩.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. (د.ت). تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. مصر: دار المعارف، ٤/٥٠.

التطبيقات التربوية للتربية بالعادة:

ـ على المربي اتباع اسلوب التدرج الذي اتبعه القرآن في تكوين العادة، فيصل المربي بالطفل إلى الإيمان بالله الواحد الخالق، عن طريق تلقينه أولاً " لا إله إلا الله" ، ثم بلفت نظره إلى التفكر في مخلوقات الله، في خلق السموات والأرض، والتدرج معه من المحسوس إلى المعقول، ومن الجزئي إلى الكلي، ومن البسيط إلى المركب، حتى يقتنع الولد وجدانياً وعقلياً بقضية الإيمان بالله وتوحيده عن حجة وبرهان[1].

- تعويد الأبناء العبادات منذ الصغر، فعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: " مروا أولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم ابناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع" [2].

فقد وجه عليه السلام إلى أهمية التعويد في تعليم الصلاة منذ الصغر- وقس عليها باقي العبادات- لتكون هناك فسحة طويلة لإنشاء هذه العادة وترسيخها، فإذا بلغ الولد العاشرة واقترب من سن التكليف يكون قد اعتادها وأحبها وأصبحت ملازمة له، فلا يشق عليها إذ ذاك المواظبة عليها.

- تعويد الطفل على تلاوة القرآن الكريم وحفظه، ليرتبط بالقرآن الكريم دستوراً ومنهجاً، يستقي منه تعاليم دينه وحياته، يطلع فيه على قصص الأولين والآخرين، يأخذ منها العبرة والموعظة، يستمد منه اخلاقه، وسائر سلوكه.

- تربية عقيدة الطفل الصحيحة، وتعويده العبادات منذ الصغر، كل ذلك يسهل تقبله للأخلاق والآداب الإسلامية الفاضلة، ويجعل منه إنساناً مستقيماً متوازناً، ويحقق له سعاة الدنيا والآخرة.

---

(١) علوان، عبد الله ناصح. (١٤١٢). تربية الأولاد في الإسلام. دار السلام للطباعة والنشر، ص ٦٤٨.

(٢) ابن حنبل، احمد. (١٤١٣). المسند. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٨٧/٢، ورواه الألباني عن جد عمرو ابن شعيب في صحيح أبي داوود ص٤٩٥، وقال حسن صحيح.

ـ التربية بالعادة فى الإسلام تحقق الترابط الاجتماعى من خلال تحويلها من عمل فردى إلى عمل جماعى كما يحدث فى الصلاة والصيام على سبيل المثال انظر إلى المساجد فى صلاة الجمعة وانظر إلى تجمع المسلمين حول الإفطار فى رمضان، واجتماعهم في الحج، والمربى الواعى هو الذى يزرع فى أبنائه التعود على أعمال الخير والفلاح فى أمور الدين والدنيا، مما يساعدهم على تكوين علاقات اجتماعية قوية، تشعرهم بتلاحم المجتمع المسلم، مما يحقق لهم الشعور بالانتماء إليه، ويولد لديهم الشعور بالأمن والاستقرار بفضل تماسك المجتمع واستقراره.

النتائج والتوصيات:

١- توصلت الدراسة إلى أهمية التربية بالعادة كأسلوب تربوي كان له عظيم الأثر في استئصال العادات السيئة وتكوين العادات المرغوبة، على تنوعها من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق.

٢- كما أظهرت الدراسة أن الاستخدام الأمثل لهذا الأسلوب لتلافي حدوث الآلية في العمل وفقدانه لمغزاه كما فعل القرآن الكريم وذلك عن طريق تحويل العادة من عمل فردي إلى ارتباط جماعي، حيث يمارس الفرد العادة مع جماعة يحفز بعضهم بعضاً على تجويد العمل وإتقانه.

٣- ويوصي البحث بالاهتمام بهذا الأسلوب في التربية في الأسرة والمدرسة لتنشئة الأجيال المسلمة، وتنويع الطرق المستخدمة لتطبيقه.

٤- كما يوصي الباحثين بدراسة أسلوب التربية بالعادة في السنة النبوية، ولدى السلف الصالح من علماء الأمة.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج. (١٤٣٣). صفة الصفوة. تحقيق: خالد طرطوسي. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (١٤٠٨). الفوائد. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم. (١٤١٦). مجموع الفتاوى. تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن حجر، احمد بن علي. (١٤٠٧). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الريان.
- ابن حنبل، احمد. (١٤١٣). المسند. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر. (١٤١٩). تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن منظور، جمال الدين محمد. (١٤١٤). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- أبو داوود، سليمان بن الأشعث. (١٤٣٠). السنن. تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد قره بللي. دمشق: دار الرسالة العالمية.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤٠٧). إرواء الغليل في تخريج احاديث منار السبيل. المكتب الإسلامي.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤١٩). صحيح سنن النسائي. الرياض: مكتبة المعارف.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤١٩). صحيح سنن أبي داوود. الرياض: مكتبة المعارف.

- الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤٢٠). صحيح سنن الترمذي. الرياض: مكتبة المعارف.

_ البخاري، محمد بن اسماعيل. (د.ت). صحيح البخاري. تحقيق: صدقي العطار. بيروت: دار الفكر.

- البزار، احمد بن عمر. (١٤٠٩). البحر الزخار المعروف بمسند البزار. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، دمشق: مؤسسة علوم القرآن.

- بنجر، أماني عبد العزيز. (١٤٢٩). التربية النبوية العقدية في العهد المكي وتطبيقاتها التربوية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة ام القرى، مكة المكرمة.

- الترمذي، محمد بن عيسى.(١٩٩٦). الجامع الكبير. تحقيق: بشار معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

- الجرجاني، علي بن محمد. (د.ت). معجم التعريفات. تحقيق: محمد صديق المنشاوي. القاهرة: دار الفضيلة.

- الرازي، محمد فخر الدين. (١٤٠١). تفسير الفخر الرازي. بيروت: دار الفكر.

- الزين، سميح عاطف. (١٤١١). معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (١٤٢٢). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. الرياض: مكتبة العبيكان.

- الطبري، محمد بن جرير. (١٤١٥). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: بشار عواد معروف وعصام الحرستاني، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- الطبري، محمد بن جرير. (د.ت). تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. مصر: دار المعارف.

- عبد الرحمن، عبد الله الزبير. (١٤١٧). من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- علوان، عبد الله ناصح. (١٤١٢). تربية الأولاد في الإسلام. دار السلام للطباعة والنشر.
- الفيومي، احمد بن محمد. (١٩٨٧). المصباح المنير. بيروت: مكتبة لبنان.
- القشيري، مسلم بن الحجاج. (١٤٢٤). المسند الصحيح. تحقيق: صدقي العطار. لبنان: دار الفكر.
- قطب، محمد. (١٤١٤). منهج التربية الإسلامية. القاهرة: دار الشروق.
- المنصوري، عبد الله والقاضي، عبد الحق.(٢٠١٢). التدرج في التشريع. *مجلة كليات التربية، جامعة عدن، ع١٣*، ص ص ٢٧٩-٣٢٤.
- الهندي، علاء الدين المتقي. (١٤٠٥). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الهيثمي، علي بن أبي بكر. (د.ت). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت: دار الكتاب العربي.